إنّ من استنار قلبه بالتوحيد، حينما ينظر في هذه الجاهلية العصرية التي فيها الحاكمية للشعب، وقد رضي فيها الشعب بحُكم نفسه والخضوع لأحكامه وشرعه، ثم ينظر في كتاب ربه، يجد أنّ من أظهر القضايا التي تناولها هي قضية الحاكمية والاتّباع والانقياد لله وحده لا شريك له، وهي مدلول لا إله إلا الله، ومعنى إفراد الله بالعبودية والبراءة من الطاغوت واجتنابه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾. إنّ القضية عند صاحب الفطرة السليمة في غاية الصفاء والوضوح؛ قومٌ اجتمعوا في أرضٍ لها حدودٌ فهي الوطن، ولها دستورٌ فهو الحَكم، ولها شعارٌ فهو العَلم، يُعقد له الولاء وعليه البراء، يُعظَّم بالقُنوت ويقاتَل تحته في صمود، وكل ذلك تحت إطار: «الدين لله والوطن للجميع». قد جعلوا سَنَّ القوانين والحاكمية في أنفسهم على جهة المداولة على السلطان، فمن اختارته الأغلبية فهو الحَكم، دانوا له بالطاعة والاتّباع لأجَل، ونَصّبوا القضاة يحكمون بما يسنّه المشرّعون ممّن يمثّلون الشعب، وقد سَنّوا حريّة الأديان بل وِحدتها، وحرية الاعتقاد –إلا التوحيد–، ونَصّبوا للناس قبابًا ومعابدًا، وأنكروا المعروف وأمروا بالمنكر، وفتنوا أهل الحقّ والتوحيد، فما تركوا من أمر الجاهلية الأولى شيئًا إلا كان لهم منه أوفر حظ وأكمل نصيب، بل تجاوزوا حدّ الطغيان والتنديد، فكانوا كما قال الله في الأقوام الطاغية: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾، فإن لم يكن هذا هو الكفر والشرك والطغيان فما هو إذَن؟! وإن لم يكن هؤلاء هم المشركون والكفار والطواغيت فمن هم إذَن؟!

هل تظنّ يا هذا أنّ من تعيش بينهم مسلمون؟! إن كنتَ تظنّ هذا، فاتّهم عقلك وسمعك وبصرك، واسأل الله بتجرّد وإخلاص أن يهديك إلى سواء السبيل، وإيّاك ومشايخ السلطان؛ فإنهم أحبار ورهبان وشياطين في أثواب الوعّاظ والزّهاد، وهُم حربة في نحر الحقّ، وسيف يذبّ عن الطاغوت بغير حقّ، بطونهم مَلأى بالجيَف، وجيوبهم عامرة بفتات دراهم الطغاة، فصار علماء هذه الأمّة شِرارها، حالهم أشدّ من حال الأحبار والرّهبان الذين ذمّهم الله في كتابه في مواضع، وهُم الذين خافهم رسول الله ﷺ على هذه الأمّة، فقد قال: «إنّما أخاف على أُمّتي الأئمّة المُضِلّين»، وهُم الذين أفسَدوا الدين كما قال ابن المبارك: «وهل أَفسدَ الدين إلا المُلوك، وأحبار سُوءٍ ورُهبانُها؟».
ألا ترى أنّ من تعيش بينهم عبيد للطواغيت، داخلون في دينه وطاعته، يجري عليهم حُكمه، وماضٍ فيهم سلطانه، قد أقاموا عرشه يذبّون عن مُلكه ودينه، وقد فشا فيهم الشرك وصنوف المكفّرات، وسرى فيهم الجهل بلا إله إلا الله؛ فهُم يقولونها لفظًا ويجهلونها معنًى ويرفضونها عملًا بالحُكم والتحاكم للشرائع المبدَّلة، إنهم طوائف ممتنِعة عن دين الله، تقاتِل بشبابها وشيبها –بموجب قانون النصرة والخدمة الوطنيّة– من خرج عن دين المَلك، فرجالهم جنود احتياط لنصرة الطاغوت، يستنفرهم للقتال والنّزال كما هو واقع الآن ويقع في كل مكان وزمان... هؤلاء العبيد للعبيد، المتجنّسون بدين الديمقراطية، الخاضعون لملّة العلمانية، المنقادون لشريعة الطاغوت... فاكفر بها وابرأ منها تُحقّق التوحيد.

والحمد لله رب العالمين.

مطوية



دين الشعب

ذو الحجة ١٤٤٥ هـ

www.seiraj.com

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين،
أما بعد: يحكي ابن بطة عن أهل زمانه، قائلًا: «فلو أنّ رجلًا عاقلًا أمعن النظر اليوم في الإسلام وأهله، لعلم أنّ أمور الناس تمضي كلها على سنن أهل الكتابَين وطريقتهم، وعلى سنّة كسرى وقيصر، وعلى ما كانت عليه الجاهلية»، ثم قال: «فمن طلب السلامة لدينه في وقتنا هذا مع الناس عُدمها، ومن أحبّ أن يلتمس معيشةً على حُكم الكتاب والسنة فقَدها وكثُر خصماؤه وأعداؤه ومخالفوه ومبغضوه فيها، فالله المستعان، فما أشدّ تعذّر السلامة في الدين في هذا الزمان؛ فطُرقات الحقّ خالية مُقفِرة مُوحِشة، قد عُدم سالكوها، واندَفنت مَحاجّها، وتهدّمت صواياها وأعلامها، وفُقد أدِلّاؤها وهُداتها، قد وقفَت شياطين الإنس والجنّ على فِجاجها وسُبلها تتخطّف الناس عنها، فالله المستعان، فليس يعرف هذا الأمر ويهمّه إلا رجلٌ عاقل مميّز، قد أدّبه العلم وشرح الله صدره بالإيمان». وقد قال البربهاري من بعده: «واحذر ثم احذر أهل زمانك خاصة، وانظر من تجالس، وممّن تسمع، ومن تصحب؛ فإنّ الخَلق كأنهم في ردّة، إلا من عصمه الله منهم».

هذا وصفهم لأهل زمانهم، فماذا نقول نحن بعد عشرة قرون متوالية؟! قال الزبير بن عَدي: «دخلنا على أنس بن مالك، فشكونا إليه ما نلقى من الحَجّاج، فقال: ما من عام إلا والذي بعده شرٌّ منه، حتى تَلقوا ربكم. سمعتُ هذا من نبيكم ﷺ». لا يُنكر أحدٌ أننا في آخر الزمان؛ فقد عَمّ الكفر والشرك في جميع الأرجاء والأحياء، ودخل الناس في دين ملوك الأرض أفواجًا، وخرجوا من دين الله أفواجًا، كما

قال أبو هريرة: «تلا رسول الله ﷺ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾، فقال رسول الله ﷺ: ليَخرجُنّ منه أفواجًا كما دخلوا فيه أفواجًا». وروى أيضًا: «قال رسول الله ﷺ: مَنعتْ العراق درهمها وقَفِيزَهَا، ومَنعتْ الشَّأْمُ مُدَّيَهَا ودينارها، ومَنعتْ مصر إِرْدَبَّهَا ودينارها، وعُدتم من حيث بدأتم، وعُدتم من حيث بدأتم، وعُدتم من حيث بدأتم. شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه»، وهذا الحديث من أعلام النبوة؛ لإخباره ﷺ بما سيكون من مُلك المسلمين لهذه الأقاليم، ووضعهم الجزية والخَراج، ثم بُطلان ذلك لاحقًا؛ لأنهم يكفُرون في آخر الزمان، فيَمنعون ما لزمهم من الزكاة وغيرها. فقوله: «وعُدتم من حيث بدأتم»، أي: رجعتم إلى ما كنتم عليه في الجاهلية، وقيل: رجعتم إلى الكفر بعد الإسلام.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾، قال الضحّاك وابن عباس: «في سلطان المَلك»، وقال قتادة بن دِعامة: «حُكمه». إنّ دين ملوك الأرض في هذا الزمان ونظام المُلك اليوم هو دين الديمقراطية، إنه لونٌ من ألوان الجاهلية المعاصرة، دينٌ مستعلَن به في هذه الديار، مهيمِن على عقول الصِّغار والكِبار، إنه حُكم المَلك ودينه، وحُكم الشعب ودينه. هل تعلم أنّ الديمقراطية هي حكومة الشعب بواسطة الشعب لمصلحة الشعب؟ وقيل: إنها حكومة من كل الشعب وبكل الشعب ولكل الشعب، وقيل: هي حكومة الشعب بواسطة الشعب، وقيل: هي ما كانت فيها الجماعة مصدر السلطة وهي التي تمارسها بنفسها أو تنتخب من ينوب عنها في ممارستها... فهذا النظام بحدّ ذاته مناطُ كفر الجماعة التي هي الشعب.

فالناس اليوم يَدرسون أوضاع الحُكم في مدارسهم، وقانونه في جامعاتهم، مطّلعين على تفاصيل الجاهلية في إعلامهم، متلبّسين بفروعها في حياتهم، فيَتحاكمون إليها في محاكمهم، ويَنتخبون أولياء أمورهم... إنه دين الديمقراطية، ونهج العلمانية، إنه نظامٌ سياسي يقتسم فيه المواطنون السلطان، ويختارون حُكامهم بحُرية، ويحتفظون لأنفسهم بالرّقابة الدائمة على الحكومة الديمقراطية. فالشعب مصدر السلطات، فهو المشرّع، ويتمّ ذلك بإنابة أعضاء يُنتخب عليهم من طرف الشعب، وظيفتهم التشريع وسنّ القوانين في مجلس الشعب، والشعب هو الحاكم، أي: الذي يُنصّب الحاكم الذي يرتضيه عن طريق الانتخابات بشكل دوري؛ لإتاحة التداول على السلطة... وإلى هنا قد غَصَبَ هذا الشعب الربوبية وما اختصّ الله به من الحاكمية والتشريع، وادّعاها لنفسه وعَبَّدَ لها الشعب، وحمى سلطانه بجيش من الشعب: الجيش الشعبي الوطني. وقد نفَذت أحكامه وقوانينه وشرائعه في هذا الشعب، وهذا النظام الوضعي والدين الوثني يُتيح لجميع طبقات الشعب حقوق المواطنة، ومن أبرزها إنشاء الأحزاب على أساس غير ديني، وأحقّية الترشيح للمناصب الحكومية والتشريعية، ليَتمّ التداول على الربوبية من طرف جميع طبقات الشعب، فمن كان في هذه المرحلة حاكمًا قد يكون في المرحلة القادمة محكومًا، فهُم بين ربٍّ ومَربوب، وعبدٍ ومعبود، ويفرض هذا النظام على المواطنين واجبات، كنصرة الوطن، وتأدية الواجب المقدّس عندهم في الدفاع عنه، واحترام القوانين وتنفيذها. وهذه نبذة مختصرة عن دين الديمقراطية: دين الشعب وحُكمه واختياره.